

## الافتتاحية

نقرأ في رسالة استشهاد بوليكاربوس والتي تُمثّل جزءًا رئيسًا من كتابات الآباء الرسوليين، فقرة تُصوّر لنا مشهد ثبات الشهداء أمام منجل الموت كما يلي: "لقد بلغت عظمة هؤلاء مبلغًا عظيمًا، إذ لم تفلت منهم أنة أو تاوّه، مُؤكّدين لنا أنهم شهداء المسيح." ولعلّ تلك الكلمات تُخلّق بنا في الآفاق لترسو أمام مشهد استشهاد المسيحيين المصريين على الشواطئ الليبية. لقد كانت إذاعة الفيلم الوثائقي لحادثة الاستشهاد بهدف إرسال رسالة تهديد ووعيد لكل من أسموهم "أمة الصليب"، إلا أنّ المشهد كان بمثابة احتفال ليتورجي يُقدّم من خلاله أبناء النور أعناقهم قرابين للذبح في حركة أشبه بالدورة الليتورجية والتي نخفي فيها برفات القديسين، إلا أنّ الفارق الجوهرى يكمن في أنّ الدورة الليتورجية تخلو من الشيطان وبده المُلَطّخة بالدماء. بيد أنّ ذاك المشهد وإن كان مُلَطّخًا بالدماء والشرّ الإنسانى والقسوة اللا آدمية إلا أنّه على الجانب الآخر مشحونٌ برجاءٍ أخرويٍّ ومُطعمٌ بحسّ الصليب وخافقٌ بنبضات التبعية الصادقة غير المشروطة إلى الجلحثة الليبية حيث المسيح مُتألّم في شهادته. لا يمكن للإنسان إلا أن يتألّم من فرط القسوة وانعدام الإنسانية، إلا أنّه على الجانب الآخر، لا يمكن للمسيحي ألا يعاين - ببصيرة الروح المُتدربة من الله - موكب النُصرة المُدشّن برايات القيامة وابتهالات الـ "إخرستوس آنستي" والـ "هللويّا" الأبدية.

بعد اكتمال الاحتفال بزفاف العروس الشهيدة ذات الثياب الحمراء للعريس الحقيقي المذبوح حبًا للعالم، يبقى السؤال: وماذا عتًا؟ هل نكتفي بالمُشاهدة وإطلاق مشاعر الأليم تارةً والإعجاب تارةً أخرى، أم أنّ لنا شهادةً علينا أن نحياها؟

إنّ كلّ كلمة حقّ نعلنها في وسط عالم أليف الكذب والخداع وتآلف معه هي

شهادة. كُلُّ تَرْقُبٍ لِمَجِيءِ العَرِيسِ بِاسْتِعْدَادٍ مُسْتَمِرٍّ مُتَجَدِّدٍ مَثَابِرٍ وَسَطِ تَشْكِيكَاتِ الزَّمَانِ هُوَ شَهَادَةٌ. كُلُّ تَمَسِّكِ بِالْحَبِّ وَالغُفْرَانِ وَالإِنْسَانِيَّةِ وَسَطِ عَالَمِ يَمُوجٍ بِالكَرَاهِيَّةِ وَالإِنْتِقَامِ وَحِسَابَاتِ المَصَالِحِ المَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ عَلَى حِسَابِ الإِنْسَانِ هُوَ شَهَادَةٌ. كُلُّ قَرَارٍ أَخْلَاقِيٍّ نَتَّخِذُهُ وَسَطِ نَسْبِيَّةِ المَعَايِرِ هُوَ شَهَادَةٌ. كُلُّ ضِمَادَةٍ نُضَمِّدُ بِهَا جُرْحَ مَنْ نَلْتَقِيهِ عَلَى الطَّرِيقِ دُونَمَا النَظَرِ إِلَى العَرَقِ أَوْ الجَنَسِ أَوْ الدِينِ أَوْ اللُّوْنِ أَوْ التَّوَجُّهِ الفِكْرِيِّ أَوْ المَيُولِ السِّيَاسِيَّةِ هُوَ شَهَادَةٌ. كُلُّ جُهْدٍ مُخْلِصٍ فِي العَمَلِ كَمَا لِلَّهِ، لَا لِلنَّاسِ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ مَنْ يُقَدَّرُ هُوَ شَهَادَةٌ. كُلُّ تَخَلُّعٍ عَنِ مَكَاسِبِ وَقْتِيَّةٍ مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ اللَّهِ هُوَ شَهَادَةٌ. كُلُّ تَكْرِيسٍ لِلحَيَاةِ هُوَ شَهَادَةٌ. كُلُّ انْطِلَاقَةٍ إِيمَانٍ لَا تَعْبَأُ بِالمَخَافِ التي يَبْئُثُهَا المَحِيطُونَ هُوَ شَهَادَةٌ. كُلُّ وَقْفَةٍ صَلَاةٍ مُخْلِصَةٍ بِالرَّغْمِ مِنَ الأَلَمِ وَالفَقْرِ وَالحَيْرَةِ وَالوَحْدَةِ هِيَ شَهَادَةٌ ... إلخ.

إِنَّ الكَنِيسَةَ تَحِيَا فِي شَهَادَةٍ دَائِمَةٍ لِأَنَّهَا نَبَتْ المَعْمُودِيَّةَ التي نَعْلَنُ فِيهَا مَوْتَنَا الطَّوْعِي وَالإِرَادِي عَنِ العَالَمِ لِنَحْيَا لِلْمَسِيحِ وَبِالمَسِيحِ وَبِقُوَّةِ القِيَامَةِ التي أَقَامَنَا بِهَا المَسِيحُ وَرَفَعَ أَعْيُنَنَا إِلَى نَصْرَتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَنِ يَمِينِ الآبِ.

فَلِنَحْيَا شَهَادَتَنَا كُلَّ يَوْمٍ وَنُقَدِّمُ قَرَابِينَنَا وَفِلْسِينَنَا فِي خِجَلِ العَبْدِ البَطَالِ وَرَجَاءِ الابْنِ المُحْتَضَنِ بِأَبْوَةِ الآبِ. وَلِتَكُنْ شَهَادَتُنَا مَجْدًا لِلثَالُوثِ المُجِيِّ. آمِينَ.